قصة أم

(أنثرام شعر)

بقلم وليم كاتسفليس

﴿ عضو في الرابطة الفلبينية ﴾

﴿ ١ ﴾

تزوجته بلا حب ، ولكنها لم تكره ، تلقى قبوله
فكانت بعملها هذا كألوف من سواها ، وكان كألوف غيره
استهلها زخرف الزواج ، وأغرتها الثروة
واكثر من هذا كله — جذبتها عاطفة الامومة
عاطفة تولد مع الطفلة ، وتترعرع مع الابنة ، وتنمو مع الفتاة
فبين اخوها يلعب بالاكر تعانق الابنة ألعوبتها ،
فتنتقل من الاعتناء بآخر ألعوبة الى العناية بأول ولد

*

وهو استهاله فيها الجمال والتقوى والطهارة .
فالمرء يميل الى ما ليس فيه
وما أكثر ما يقترن النمر المفترس بالحمل الوديع
وما أكثر ما تجمع الوسادة الواحدة فوق بياضها الناصع قذارة الوحول

وطهارة الزنبقة النقية

﴿٢﴾

انتهت الاحتفالات بالعرس وهنأهما الناس .
واصبحا في عرف شريعة البشر شخصاً واحداً .
ودخلت الفتاة مضجعاً لم يدفها اليه ميلها .
واحتملت قبلة لم تتولد الرغبة اليها في نفسها ،
وعانقها زند لم يضطرب له قلبها ،
ولمستها شفتان لم يرتجف للمسهما جسمها .
وهكذا تم تمثيل رواية الحب . وهي هي بطلة روايتها
فلم يصادف ذلك التقليد صدى في اعماق احشائها .
فكانت كالقربان عَلَى هيكل مولوخ الفظيع
تلتهم النيران جسدها ، والناس من حولها فرحون ،
لانهم يرون الزخرف الخارجي ، والقلوب لا يرون .
فشعرت بفراغ من حولها كأن الدنيا خلت من ساكنيها .
كانت تشبع من الاكل ، ومن النوم ، وتلبس أفخر اللباس .
ولكن قلبها عطشان ونفسها جائعة قد ملأها اليأس .
اذ ترى زوجها يشتهي الجسم منها ولا يبالي بالنفس
فكانت كل قبلة منه كأنها طعنة ، وكل ضمة كأنها غلة
وهكذا وقفت فتاة في مأتم شبابها ،

وصبية باكية فوق ضريح صباها .

﴿٣﴾

وكأنما الطبيعة ندمت عَلَى قسوتها .
وارادت محو اثمها والتعويض عن ظلامتها .
فأيدت السنة الازلية والقاعدة الابدية .

*

واشعرت الفتاة بازدواج الحياة فيها .....
تغيرت مجاري افكارها المظلمة السوداء .
وانقشعت الغيوم المتلبدة في جو حياتها .
اذ وجدت الحب ! ... حبها لذاتها !
تلك الذات التي ستلد ذاتاً !

*

ولما جآء الصبي بين الابتسامة والالم .
رفعت رأسها من الوسادة لتراه .
فشعرت ان الحياة جميلة بمرآه .
وصبت كل ما في نفسها من الكنوز المكنوزة
وما في قلبها من العواطف المخزونة
فوق ذلك الرأس الصغير الاصلع !

﴿٤﴾

تبسمت لها الحياة ، لا بل ضحكت

واصبحت شمسها تشرق من ثغر الطفل ،
وسعادتها تتدفق من اصابعه الصغيرة ·
ولكن واحسرتاه ! ما هذه الغيمة المتلبدة
في جو حياتها الجديدة ؟
ويح المرض ! ألم يجد سوى طفلها ؟
هي ليس لها في العالم سواه
فما بال الاله يجربها هذه التجربة ؟

*

اسرع الاطباء وبذلوا في معالجته العناية
ولكن المرض السارق كان كل يوم في زيادة ·
وكانت الام كل يوم تقترب شبراً من القبر !
ثم جاء يوم اشتدت فيه وطأة الداء ·
وحار في امرهم الاطباء
فدعوا لنجدتهم استاذاً شهيراً
فتح له العلم ابوابه المغلقة ، وكشف له اسراره الغامضة ·
جاء الاستاذ وفحص الطفل ملياً
ثم نادى الاب واختلى به برهة ·
ولما عاد الى سرير الطفل المحتضر ·
حيث الام جاحظة العين ، محلولة الشعر

تنظر الى شفته لتقرأ عليهما الموت او الحياة
كان جبين الاستاذ الشيخ مقطباً
فعطف عَلَى الام وقال لها متأثراً —
« يا ابنتي · لم يبقَ محل للامل الكاذب ·
« هذا الطفل سيعود عن قريب الى صانعه
« وانصح لك ألاَّ تعرضي طفلاً آخر للعذاب
« قبل ان يبرأ زوجك من علته ! »
فصاحت الفتاة وقد دارت من حولها الارض ·
« زوجي ? ما هي علته ? واي دخل لعلته بطفلي ? »
فقال الطبيب · ان زوجك مصاب « بالدآء »
ومن كانت هذه علته يجني عَلَى ولده ونسله ! »

﴿ ٥ ﴾

لما عادت الفتاة الى رشدها كان الغلام قد قضى !
وابوه واقف الى جانب السرير ، مطأطأ الرأس ·
فنهضت ومشت الهوينا الى حيث زوجها
ولم تك في عينها دمعة ، لان الدمع كان في قلبها
دنت منه فزاد رأسه انحناء ·
وعلت جبهته حمرة كانت قد محتها السنون ·
فقالت بهدوء كأن الجحيم لم يك في احشائها ·

« يا رجل · انت قتلت سعادتي وهنائي !
« وجعلتني امة بلا ارادة في مضجع العار !
« وسلبتني حق ارثي من الطبيعة امي !
« ولكني لم اشكُ منك او اليك ولم احتج ·
« ولكن ·· ولكن ·· بأي حق تقتل طفلي ؟
« ماذا جناه نحوك ملاكي هذا · يا قاتل ؟
« بماذا اساء اليك حتى ذبحته يا فاتك ؟
« ماذا فعل حتى خنقته بيدك ايها الوحش ؟ »

ثم اختنق الكلام في حلقها
وخرجت عيناها من حدقتيهما ·
فضحكت ··· ضحكت مُقهقهة · وتركت الغرفة ···

﴿ ٦ ﴾

هناك في المقبرة ضريح صغير ·
لا تذبل الزهور من حوله
لان يد الحبيبة تحفظها زاهية زاهرة ·
زر الضريح الصغير قبيل الغروب
تجد هنالك امرأة كللها الشيب بثلوجه
جالسة عَلَى مقعد خشبي
كأنها تمثال الحزن الابدي